اختفاء

حين انتصبت قامتك أمام المايك في عزة وشموخ تعلن عن موهبتك فى اختبارات الإذاعة للأصوات الجديدة ووقعت عيناك عليه رئيساً للجنة، احتبس الصوت الحنون في حنجرتك، ثم تحشرج حينما خذلتك شجاعتك وإيمانك بموهبتك، وأطلت من عين حمزة بكير نظرة شماتة، وهو يرمقك بفرحة النصر، أخيراً انتزع من إرادتك الفولاذية هزيمتك، وأنت تفر من أمامه بخيبة أملك، وصوراً من مواقفك السابقة معه تطاردك، وأنت تذكر حينما وقفت أمامه لأول مرة في اختبارات إتحاد الفنانين العرب، وحصلت على أعلى الأصوات، ولكن حالت ظروفك المادية الصعبة عن تحقيق رغبتك، وفرت دمعة مقهورة من عينيك، وأنت تجرجر حزنك لتغسل همك على سور الكورنيش، تطلق صوتك المحبوس في حلقك، كما أطلقته من قبل في

اختبارات شركة الكاست لكن حمزة بكير أقنع صاحب الشركة بأنك تحتاج إلى تدريب، ومال عليك يطلب منك مبلغاً كبيراً تدفعه في سبيل هذه الشهرة !! ولكنك لا تملك هذا المبلغ تجتر ذكرياتك مع الحمزة الدنيئ، تزفر صهداً، ويخرج من جوفك آاااه محملة بحرقة قدرك الذي أوقعك مع هذا الرجل الذي حطم كل آمالك، وسطى حتى على خطيبتك، حين وقعت عيناه عليها عندما اصطحبتها معك في اختبارات الشركة، تركتك تجتر أحزانك وتزوجته عرفياً .

لم تجد غير كلمات أسلام الجمال صديقك الصحفي بلسم لجراحك، بأن تتمسك بحقك، وتثبت لحمزة أنك صاحب موهبة، وجدير بتلك المكانة !! دموعك تفر من مقلتيك فرار المقهور من حظٍ تعس وتنهمر على خديك كالمطر، وأنت تئن من هذا الحزن الذي يثقل قلبك الموجوع من هذا الظلم الواقع عليك .

لماذا ؟!! لماذا لم تعد الحياة وردية اللون كما كانت في بدايات حمزة بكير ؟! وكما يتباهى بها على شاشة التلفاز، ويفخر بأن فلاناً وفلاناً وفلاناً مدوا له يد العون وهو في بداية طريقه، وصنعوا نجوميته ؟!! لماذا طغت الماديات وطفت على كل مشاعرنا ؟!! وأصبح من يملك يتسيد، ويعلو بحلمه !! ومن لا يملك لا يجد غير الحمزة يقتل حلمه !!

وكان قرارك، والغل المكبوت يدفعك لكي تنتقم، تجرجر حزنك من على سور الكورنيش، ويزأر ألمك المكبوت بصيحات الانتقام، من حمزة وممن هم على شاكلته

وكان لقاؤك برشا خطيبتك السابقة، والتي هبطت من زوجة إلى خادمة، بعد أن خيرها إما الشارع أو ترضى بهذا الوضع، واختارت هذا الوضع بعد أن لفظها الأهل وتخلى عنها كل الناس، كانت تملك مثلك هذا الدافع في الانتقام من حمزة الذي حطم أمالها وكبرياءها في أن تحيا كسيدة شريفة في بيته، فسهلت لك مبتغاك في أن تدخل عرينه في غيبته، ووقعت عينك على أخر لحن خطته يداه وتبلورت الفكرة بأن تأخذ نسخة من هذا اللحن، وتقوم بتوثيقه وتبدأ رحلة انتقامك تغمرك السعادة، وتسرى في عروقك نشوة النصر، وعينك تحتضن مقالات إسلام صديقك تنال من سطو حمزة على ألحانك .

زلزالٌ هز عرش حمزة وأسقطه من علياءه، ودفعه تهوره وجنونه بتهديدك، بل سلط زبانيته عليك، يضربونك ضرباً مبرحاً، كدت أن تفقد فيه حياتك، ولكن كان تصميمك، بأن تستكمل الخطة وأنت فوق الأسرة البيضاء بالمستشفى التي نقلوك إليها، حين تفتق ذهنك على الحصول على كيس دم يوافق فصيلة دمك، ودخلت عرينه مرة أخرى، ونثرت الدم في أرجاء الشقة، وأطلقت رصاصتين من

مسدسه القابع في درج المكتب، وهبطت تنتظر قدومه أمام عمارته لتكمل أركان الخطة .

الليل يفرش بردته السوداء على الكون، والظلمة غلفت حياتك، ولم يعد في قلبك نقطة مضيئة، وعينك تطل على الحياة بسوداوية مفرطة !! لم تعد أنت كما كنت نقى السريرة !! مشرق المحيى، بهيج الطلعة، طغى الثأر على مشاعر، فلم تعد ترى غير الانتقام يزأر في صدرك، وأنت تفتح شنطة سيارته، وتنثر الدماء فيها، وتترك جزءً من ملابسك معلق فى شنكل الشنطة، وتختفي كما تختفي ذرات الرمال .

الليل يعقبه نهار، وحمزة يزأر في محبسه بأنه برئ من دمك، دون مجيب ؟! ودون أن تتحرك مشاعرك لإنقاذه، السعادة تغمرك، والتشفي فيه يسرى في دمك مجرى الدم، وأنت تتخيله معلقاً فى حبل المشنقة، تفر من وخزات الضمير التي توخز شغاف قلبك بين الحين والحين، وتطالبك إنسانيتك بالتخلي عن عنادك والاستماع لصوت العقل، وتفر تفر من الحنين إلى إنسانيتك لكي لرضوخ وتتراجع عن عنادك والتسامح فى الخطوة المتوقفة على ذهابك، والاعتراف بجرمك الذى ارتكبته بالانسياق وراء ثأرك !!

تفر تفر من ضعفك بأن تلين لصوت عقلك، تفر فرار العنيد من لحظة تضعفك أن تدفعك لتراجع عما عزمت عليه، تنحى حسك المرهف من هذا الصراع الناشب بين إنسانيتك وبين وعواء ثأرك بعدم الاستماع لصوت عقلك، وأي قرار يثنيك عن الظفر من حمزة، وأن تجرعه من كأس العذاب الذي تجرعت منه وارتحت من هذا الصراع، عندما تمكن محامي حمزة من الحصول على قرار بالإفراج عنه، لعدم وصول رجال الشرطة إلى معرفة مصير الجثة، وإصرار حمزة على إنكاره لهذه الجريمة، وتداولت القضية في المحاكم يقول فيها كلمته.

فوق رمال شرم الشيخ، عندما حط رحالك، تعمل في أحد فنادقها .

استسلمت لراحة المغيب بعد عملٍ شاق، وأطلقت صوتك الحنون للفضاء، تشدو من نزف عذابك، فشد صوتك الرخيم أذن صبري فريد المخرج الذي اقترح على حمزة بالاستجمام في هذا المكان، ووضع ألحانه لفيلمه الجديد، لحظة مريرة قاسية عندما التقت عينك الواهنة، بعين حمزة الجزعة، وهو يراك أمامه حقاً حيٌ ترزق . وفررت، فررت من أمامه، رافضاً كل النداءات التي أطلقها خلفك لتبقي، الآن ؟!! الآن يا حمزة انتابتك مشاعر

الغريق الذي رأى القشة فلهث بكل أمله كي يتعلق بها!! وبعد أن كان لا يطيق رؤياك، يبحث الآن عن وجهك !!

وحط رحالك فى مدينة الإسكندرية، تتوارى فى طائفة المعمار، تهرب، تهرب من حمزة، تهرب من نفسك، تهرب من بطشك، وترفض الحنين إلى ضعفك، تصم أذنيك عن كل النداءات التى أطلقها حمزة يتوسل فيها أن تنقذ روحه، وتآتى لتوقع عقد بطولة الفيلم الجديد، فأنت الصوت الذى كان يبحث عنه ؟!! وسخرت من هذا القدر الذى يناديك لتأخذ حقك، بعد أن أعلنت موتك !! وارتفع صوتك الحنون بالغناء يحمس زملاء المهنة، وجذب صوتك أذن مهندس الموقع، وتعرف عليك من خلال صورك المنشورة فى الصحف، ورجاء حمزة لك بالعودة .

وكان فرارك من حمزة، تتلذذ من تعذيبه، وتفر تفر من كل الأشياء التى تضعف من ثأرك !!

وحط رحالك فى الصالحية، تعمل فى مزرعة دواجن، وكان قرارك بلا عودة، حتى يأخذ هذا الحمزة جزاءه، وحمزة خلف قضبان القاعة يصرخ بأنك حى، وأن الحكم بإعدامه باطل .

وكان لقاءك بمها ابنة صاحب المزرعة كالبلسم، الذى طيب نفسك، وأطفأ غلك وتحركت مشاعرك الإنسانية

أن ترضخ لصوت العقل، وتنقذ حمزة، وتسمو بمشاعر الفنان، وتعلو على مشاعر ثأرك .

وارتفعت خطواتك فى قاعة المحكمة، تعلن فى جراءة أن حمزة برئ، وأنك تتحمل نتيجة عملك، وأشرقت البسمة على ثغرك، تتقبل حكم القاضى عليك بالسجن سته أشهر .

واحتضنت عيناك عين المها، وهى تقول لك فى رضا :

ح أستناك .

القاهرة فى

يوم الأثنين : ١٣ - ٨ - ١٠٠٢

نشرت بجريدة الأهرام المسائي